

## تمهيد

تتصف اللغة من حيث هي وسيلة من وسائل الاتصال بصفة مهمة هي تضافر ثنائية اللفظ والمعنى . ومن هنا كان درس اللغة يهتم بجانبها اللفظي والمعنوي . إذ نجد علم الأصوات ، وعلم الصرف ، وعلم النحو تهتم في الغالب بالجانب اللفظي ؛ في حين يهتم المعجم ، وعلم الدلالة في الغالب بالجانب المعنوي . وإن كان من الصعب الفصل بين هذه الجوانب المختلفة ؛ لأنها تدرس ظاهرة واحدة هي اللغة . على أن الحاجة إلى تعمق جوانب اللغة المختلفة يقتضي هذا الفصل الذي نجده في البحث وفي تعليم هذه العلوم اللغوية أيضاً .

### الصرف في اللغة والاصطلاح :

أخذ مصطلح (الصرف أو التصريف) من المادة المعجمية (ص / ر / ف) . ونذكر ، حين نعود إلى محتوى هذه المادة ، المناسبة بين المعنيين المعجمي والاصطلاحي . فمعظم ما نجده من الألفاظ في هذه المادة يدل بشكل عام على التحول والتغير والانتقال من حال إلى حال . ومن ذلك : «يقال : لا يقبل منه صَرْفٌ ولا عدلٌ . . . . . ومنه قولهم إنه لَيَتَصَرَّفُ في الأمور . . . . . وصَرْفُ الدهر : حَدَّثَانُهُ ونَوَائِبُهُ . والصَّرْفَان : الليل والنهار . والصَّرْفَةُ : منزلة من منازل القمر . . . . . سمي صرفة لانصراف البرد وإقبال الحر . . . . . والصَّرِيف : اللبن ينصرف به عن الضرع حاراً إذا حلب . . . . . والصيرف :

المحتال المتصرف في الأمور . . . . والصَّيرْفِيّ: الصَّرَاف، من المَصَارِفَة . . .  
يقال: صَرَفْتُ الدرهم بالدنانير . . . وصَرَفْتُ الرجل عني فأنصَرَفَ . . .  
وصَرَفْتُ الصبيان: قَلَبْتَهُمْ. وصَرَفَ الله عنك الأذى . . . وصَرَفْتُ الرجل في  
أمرٍ تصريفًا، فتَصَرَّفَ. واصْطَرَفَ في طلب الكسب . . . . واستَصَرَفْتُ الله  
المكاره<sup>(١)</sup> .»

أما في الاصطلاح فقد استخدم هذا اللفظ ليدل على العلم الذي يعالج  
الكلمة المفردة، فيعالج تغيراتها وتحولاتها الذاتية .

ولا نجد تعريفًا لعلم الصرف جامعًا مانعًا. فأشهر تعريف ما ورد في شافية  
ابن الحاجب، قال «التصريف علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي  
ليست بإعراب<sup>(٢)</sup>». وهذا التعريف يعني أن التصريف هو القوانين التي تتغير  
بها أبنية الكلم. وقد ناقش (الرضي) شارح الشافية هذا التعريف مناقشة  
تكشف عن قصور التعريف عن الوفاء بالمفهوم الذي يستقر في أذهان المشتغلين  
بالعلم، فالتصريف عند من سبقوا ابن الحاجب هو التغير نفسه أي ممارسة اللغة  
بهدي من القوانين التي تحكم التغير الصرفي، وهذا ما يمكن فهمه من قول ابن  
جني: «معنى قولنا التصريف هو أن تأتي إلى الحروف الأصول (وسنوضح  
قولنا الأصول) فتتصرف فيها بزيادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب  
التغير، فذلك هو التصرف فيها والتصريف لها<sup>(٣)</sup>» .

والحق أن علم التصريف ليس إنتاج الكلم بمعنى الإتيان إلى الحروف  
الأصول والتصرف فيها على نحو ما ذكر ابن جني؛ بل هو معرفة القوانين التي  
تمكن من إنتاج الكلم والقوانين المفسرة للتغير فيها. فهنا نوعان من القوانين:  
أحدهما قواعد توليد الكلم، أما الآخر فالقواعد التفسيرية لتغير الكلم<sup>(٤)</sup>.  
على أنه يستفاد من جملة أقوالهم أن الدرس الصرفي يعالج الكلمة من جوانب  
متعددة<sup>(٥)</sup> هي:

١ - وسائل توليد الألفاظ وتكاثرها ويعرف هذا بتصريف الأفعال واشتقاق الأسماء .

٢ - التغيرات الصوتية الناتجة عن تجاوز أصوات الكلمة الواحدة . ويعرف بالإعلال والإبدال .

٣ - تغيرات صرفية نتيجة الوفاء بحاجات تصريفية مثل : العدد والجنس ، والتصغير والنسب . أو حاجة تركيبية مثل الإسناد .

**أصرف هو أم تصريف ؟**

درجت معظم الكتب المتقدمة على استخدام مصطلح (التصريف) غير أنا نجد إلى ذلك مصطلح (الصرف) وهو مصطلح شاع استخدامه حتى صار أشهر عند الناس منه ، ونجد بعض الكتب الحديثة لا تفرق في استخدامها بين اللفظين .

**ميدان علم الصرف ، أو التصريف :**

لما كان علم الصرف أو التصريف مهتمًا بتغيرات الكلمة خرج من اهتمامه ما لا يتغير من الكلم . وقد حدد ابن عصفور ما يخرج من التصريف في أربعة أشياء قال :

«اعلم أن التصريف لا يدخل في أربعة أشياء ، وهي : الأسماء الأعجمية (التي عجمتها شخصية) ك (إسماعيل) ونحوه ؛ لأنها نقلت من لغة قوم ليس حكمها كحكم هذه اللغة<sup>(٦)</sup> . الأصوات ك «غاق» ونحوه ؛ لأنها حكاية ما يصوت به وليس لها أصل معلوم . والحروف ، وما شبه بها من الأسماء المتوغلة في البناء نحو «من» و «ما» ؛ لأنها - لا فتقارها - بمنزلة جزء من الكلمة التي تدخل عليها . فكما أن جزء الكلمة الذي هو حرف الهجاء لا يدخله تصريف فكذلك ما هو بمنزلته<sup>(٧)</sup> » .

أما ما يدخل في اهتمام الصرف فهو ما ذكره في قوله: «وما عدا ما ذكر من الأسماء العربية والأفعال يدخله التصريف»<sup>(٨)</sup>.

والذي يفهم من قول ابن عصفور أن بعض الكلمات لها قابلية التغير فهي تتصرف وبعضها ليس لها هذه القابلية فهي لا تتصرف، وعلى متعلم اللغة أن يعرف هذه الحقيقة ليصرف ما يتصرف، أما من حيث الدرس الصرفي فإنه رصد لتغير الألفاظ؛ فالمتغير منها هو ميدانه الأساسي؛ غير أنه يمكنه درس بعض ما هو غير متصرف بقدر ملائم.

### أقسام الكلم:

الكلم اسم جنس جمعي والمفرد منه (كلمة). ويكاد يجمع النحويون القدماء على أن الكلم ينقسم ثلاثة أقسام: الاسم، والفعل، والحرف. وقد زاد (ابن صابر) من القدماء قسمًا رابعًا سماه (الخالفة)<sup>(٩)</sup>. وجعلها (الكافي) خمسة أقسام<sup>(١٠)</sup>.

أما المحدثون فذهبوا متأثرين بالدراسات الحديثة إلى أن الكلم ينقسم إلى أكثر من ذلك، فقسم إبراهيم أنيس الكلم إلى: اسم، وضمير، وفعل، وأداة<sup>(١١)</sup>. وقسمه مهدي المخزومي أربعة أقسام هي: الفعل، والاسم، والأداة، والكناية<sup>(١٢)</sup>. ووصل تمام حسان بهذه القسمة إلى سبعة أقسام هي: الاسم، والصفة، والفعل، والضمير، والخالفة، والظرف، والأداة<sup>(١٣)</sup>. وتابعه في هذه القسمة تلميذه (فاضل الساقى)<sup>(١٤)</sup>.

والمأمل في هذه التقسيمات كلها يرى أنها تعود إلى التضييق أو التوسيع في السمات التي تتصف بها أقسام الكلم، فهي عند التضييق ترتد إلى ثلاثة وعند التوسيع تمتد إلى سبعة أو أكثر من ذلك لمن أراد أن يتوسع في ذلك.

وقد اعتمد التوزيع العربي للكلم على ثلاث مجموعات كبرى على جانبيين مهمين جانب المعنى وجانب الوظيفة التركيبية، وانطلاقاً من المعنى عرف الاسم بأنه ما يدل على معنى في نفسه غير مرتبط بزمان، وعرف الفعل بأنه ما دل على معنى بنفسه مرتبطاً بزمان، وعرف الحرف بأنه ما ليس له معنى بنفسه بل بغيره. وانطلاقاً من الجانب التركيبي عرف الاسم بأنه ما يسند ويسند إليه، وعرف الفعل بأنه ما يسند ولا يسند إليه، وعرف الحرف بأنه الذي لا يسند ولا يسند إليه.

ويذكر العلماء جملة من العلامات التي تميز أقسام الكلم بعضها من بعض، والعلامات ليست سمات يجب تحققها في كل أفراد القسم الواحد بل تدل بتحققها أو تحقق بعضها على القسم من الكلم، أما ارتفاع بعض العلامات فإنه لا يخرج الكلمة من قسمها.

ذكر ابن مالك بعض علامات الاسم في قوله في الألفية:

بالجر والتنوين والندا وأل مسند للاسم تميز حصل

وليست هذه كل العلامات إذ يمكن أن يضاف إلى ذلك علامات أخرى مثل قابلية الاسم للتصغير، وانتهائه بياء النسب.

أما الفعل فأجمل ابن مالك بعض علاماته في قوله:

بتا فعلت وأنت ويا أفعلني ونون أقبلن فعل ينجلي

وليست هذه كل العلامات إذ يمكن أن يضاف إليها قابليته للجزم ودخول بعض الأدوات الجازمة والناصبية، ودخول حرف التسوييف عليه، ودخول الفعل في جدول تصنيفي.

أما الحرف فإن علامته ارتفاع كل علامات الاسم والفعل منه.

## الكلمة :

استخدم مصطلح (الكلمة) في أكثر من مستوى من مستويات الدرس اللغوي ؛ لذا تعددت مفاهيمه ، فكانت الكلمة الإملائية ، والكلمة الصرفية ، والكلمة النحوية .

الكلمة الإملائية : هي مجموعة من الحروف التي يتصل بعضها ببعض ، مثل : لك ، كتابك ، سأقرأ ، سيذهبون ، سنزورهم . وتقع بين فراغين .

الكلمة الصرفية : هي مجموعة من الحروف والحركات تؤلف مبنى يدل على معنى معجمي مفرد ، أو معنى وظيفي .

الكلمة النحوية : كلمة صرفية تدل في التركيب على معنى إفرادي أو تركيب .

وتبين هذه الفروق عند تأمل كلمة مثل (ذهبتْ) في : هند ذهبتْ .

ذهبتْ (إملائيًا) : كلمة واحدة .

(صرفيًا) : كلمتان [ فعل / حرف ] .

(نحويًا) : ثلاث كلمات [ فعل / حرف / ضمير مستتر ] .

وقد ذكر (الكافي) أمثلة متعددة على الفرق بين الكلمة الإملائية والكلمة غير الإملائية ، من ذلك قوله « وقد تكون [أي الكلمة الإملائية] سبعاً ، نحو : ﴿أنلزمكموها﴾ [٢٨ - هود] ؛ لأن فيه ضميراً مستتراً أيضاً تقديره : نحن »<sup>(١٥)</sup>

## حواشي:

- ١ - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ٤/ ١٣٨٥ - ١٣٨٦ .
- ٢ - الرضي، شرح الشافية ١/ ١ .
- ٣ - ابن جني، التصريف الملوكي ٢ .
- ٤ - ذكر ابن عصفور أن التصريف قسمان: أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني. والآخر تغيير الكلمة عن أصلها من غير أن يكون ذلك التغيير دالاً على معنى طارئ على الكلمة. (انظر: الممتع في التصريف ١/ ٣١ - ٣٢) .
- ٥ - ذكر نحواً من ذلك الطيب البكوش في كتابه: التصريف العربي ١٤ .
- ٦ - يقسم علماء العربية الكلمات الأعجمية أربعة أقسام: «أحدها ما لم يتغير ولم تكن ملحقة بأبنية كلامهم كخراسان. وثانيها ما لم تتغير ولكن كانت ملحقة بأبنية كخرم. وثالثها ما تغيرت ولكن لم تكن ملحقة بها كأجر. ورابعها ما تغيرت وكانت ملحقة بها كدرهم». انظر: ابن كمال باشا، تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، نشرت في كتاب «رسالتان في المعرب» لابن كمال والمنشي، بتقديم وتحقيق: سليمان العايد (جامعة أم القرى / مكة المكرمة، ١٤٠٧ هـ) ص ٧٨ .
- ٧ - ابن عصفور، الممتع في التصريف ١/ ٣٥ .
- ٨ - السابق ١/ ٣٦ .
- ٩ - الصبان، حاشيته على شرح الأشموني، ١/ ٢٣ .
- ١٠ - الكافي، شرح المعربات، ٢٩ .
- ١١ - إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ٢٨٢ - ٢٩٤ .
- ١٢ - مهدي المخزومي، في النحو العربي: قواعد وتطبيق، ٤٦ .
- ١٣ - تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، ٨٦ .
- ١٤ - فاضل الساقى، أقسام الكلام العربي، ١٣٩ .
- ١٥ - الكافي، شرح المعربات، ٣٣ .